



التوحيد

وَيَكُنْ الذِّمَّةُ السَّامِيَّةَ النَّبِيَّةَ

تأليف
فضيلة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

مركز شجاع الخير للدعوة والبحث العلمي

تحت إشراف اللجنة العلمية بجمعية دار الكتاب والسنة

فلسطين - محافظة خان يونس شارع أهل السنة ص. ب : 4

هاتف: 00970 8 2053150 ناسوخ: 00970 8 2053013

www.daralsunna.com - daralsunna@hotmail.com

التَّوْحِيدُ

وَيَبَيِّنُ الْعَقِيدَةَ السَّلَفِيَّةَ النَّقِيَّةَ



إصدار

مركز شعاع الخير للدعوة والبحث العلمي

إشراف : اللجنة العلمية بجمعية دار الكتاب والسنة

فلسطين - محافظة خاؤ يونس شارع أهل السنة ص . ب : 4

هاتف : 0097082053150 ناسوخ : 0097082053013

www.daralsunna.com daralsunna@hotmail.com

التَّوْحِيدُ

وَيَأْنُ الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ النَّقِيَّةِ

تَأَلَّفَ
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ

رئيس مجلس القضاء الأعلى بالملكة العربية السعودية سابقاً

1430 هـ - 2009 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَلَّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَوَفْدِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ فَرِيدَةٌ، فِي غَايَةِ أَكِيدَةٍ، ضَمِنَ مَشْرُوعَنَا الدَّعْوَى الْمُبَارَكُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ-
 "لِيَتَقَهُوا"، وَهِيَ رِسَالَةٌ فِي بَيَانِ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَأَعْظَمِ
 الْقُرْبَاتِ، أَلَا وَهِيَ التَّوْحِيدُ لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، دَبَّجَهَا يُرَاعِ فَضِيلَةَ الْعَلَامَةِ
 الشَّيْخِ:

عبد الله بن محمد بن حميد - أعلى الله في مدارج الرضا مرّقاؤه.

وَلَقَدْ رَأَيْنَا - وَمِنْ بَابِ نَشْرِ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ -، إدراج هذه الرِّسَالَةِ الْمُفِيدَةِ
 ضَمَّنَ سِلْسِلَةَ نَشْرِ اتِّنَا وإصدارَاتِنَا الْعِلْمِيَّةِ الدَّعَوِيَّةِ.

سَائِلِينَ الْمَوْلَى -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَهَا قَارِئَتُهَا وَنَاشِرُهَا إِنَّهُ نِعْمَ مَسْئُولٌ وَخَيْرٌ مَأْمُولٌ .

محمود بن محمد حمدان

المشرف العام على المشروع الدعوى "للتفقهوا".

توطئة

تَشْتَمِلُ عَلَى صَفْوَةِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَخُلَاصَتِهَا الْمُسْتَمَدَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

بقلم

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (*) مُبَيَّنًا عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (الْعَقِيدَةُ السَّلَفِيَّةُ النَّقِيَّةُ):

وَشَرَّهٗ .

* فيشهدون: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّبُّ الْإِلَهُُ الْمَعْبُودُ، المتفردُ بكلِّ كمالٍ فيعبُدونه وَحْدَهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

* فيقولون: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الرَّزَّاقُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ الْمَدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ
الْأُمُورِ.

(*) كتبها بين يدي شرحه اللطيف على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله والمسمى: "القول السديد في مقاصد التوحيد".

وَأَنَّهُ الْمَالُوهُ الْمَعْبُودُ الْمَوْحَدُ الْمَقْصُودُ، وَأَنَّهُ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ.

وَأَنَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى بِكُلِّ مَعْنَى وَاعْتِبَارٍ، عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ.

وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، اسْتَوَاءً يَلِيْقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَمَعَ عُلُوِّهِ الْمُطْلَقِ وَفَوْقِيَّتِهِ، فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِالظَّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ وَالْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَهُوَ مَعَ الْعِبَادِ بِعِلْمِهِ، يَعْلَمُ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ، وَهُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ.

وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ عَنِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَالْكُلُّ إِلَيْهِ مُفْتَقِرُونَ فِي إِيجَادِهِمْ وَإِيجَادِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَلَا غَنَى لِأَحَدٍ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَهُوَ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ، الَّذِي مَا بِالْعِبَادِ مِنْ نِعْمَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا دُنْيَوِيَّةٍ، وَلَا دَفْعَ نِقْمَةٍ إِلَّا مِنْ اللَّهِ، فَهُوَ الْجَالِبُ لِلنَّعْمِ، الدَّافِعُ لِلنَّقَمِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ يُنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُسْتَعْرَضُ حَاجَاتِ الْعِبَادِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فيقول: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ. فَهُوَ يُنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ، وَيَفْعَلُ كَمَا يَرِيدُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

* ويعتقدون أَنَّهُ الحكيمُ، الَّذِي لَهُ الحكمةُ التَّامَّةُ في شرِّعه وقَدَرِه، فما خَلَقَ شيئاً عبثاً، ولا شرَعَ الشَّرَائِعَ إِلَّا للمصالحِ والحِكَمِ.

وَأَنَّهُ التَّوَّابُ العَفُوُّ الغَفُورُ، يقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ ويعْفُو عَنْ السيِّئَاتِ، ويَغْفِرُ الذُّنُوبَ العَظِيمَةَ للتَّائِبِينَ والمستغفرينَ والمُنِيْبِينَ.

وهو الشَّاكُورُ الَّذِي يَشْكُرُ القَلِيلَ مِنَ العَمَلِ، ويزِيدُ الشَّاكِرِينَ مِنْ فَضْلِهِ.

* وَيَصِفُونَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ .

مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ، كالحَيَاةِ الكَامِلَةِ، والسَّمْعِ والبَصَرِ، وَكَمَالِ القُدْرَةِ والعَظَمَةِ والكِبَرِيَاءِ، والمَجْدِ والجَلَالِ والْجَمَالِ، والْحَمْدِ المُطْلَقِ.

وَمِنْ صِفَاتِ الأَفْعَالِ المُتَعَلِّقَةِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كالرَّحْمَةِ والرِّضَا، والسُّخْطِ والكَلَامِ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَكَلِمَاتُهُ لَا تَنْفَدُ، وَلَا تَبِيدُ.

وَإِنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ، وَيَحْكُمُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَحْكَامِهِ القَدَرِيَّةِ، وَأَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَحْكَامِهِ الجَزَائِيَّةِ، فَهُوَ الحَاكِمُ المَالِكُ، وَمَنْ سِوَاهُ مَمْلُوكٌ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ، فَلَا خُرُوجَ لِلْعِبَادِ عَنْ مُلْكِهِ وَلَا عَنْ حُكْمِهِ.

والجنَّ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بصلاح الدين
وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله، ويستعينوا برزقه على ذلك.

* وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْلَمُ الْخَلْقِ وَأَصْدُقُهُمْ، وَأَنْصَحُهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ بَيَانًا، فَيَعْظُمُونَهُ
وَيُحِبُّونَهُ، وَيَقْدُمُونَ مُحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ فِي أَصُولِ دِينِهِمْ وَفُرُوعِهِ.
* وَيَقْدُمُونَ قَوْلَهُ وَهَدْيَهُ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ وَهَدْيِهِ.

* وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْخِصَائِصِ وَالْكَمَالَاتِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ
لِأَحَدٍ، فَهُوَ أَعْلَى الْخَلْقِ مَقَامًا، وَأَعْظَمُهُمْ جَاهًا، وَأَكْمَلُهُمْ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ، لَمْ يَبْقَ
خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ أَمَّتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَرَهُمْ مِنْهُ.
وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحدٍ
من رُسُلِهِ.

* وَيُؤْمِنُونَ بِالْقَدْرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا قَدْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُ
اللَّهِ، وَجَرَى بِهَا قَلَمُهُ، وَنَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُهُ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا حِكْمَتُهُ، حَيْثُ خَلَقَ
لِلْعِبَادِ قُدْرَةً وَإِرَادَةً، تَقَعُ بِهَا أَقْوَامُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَتِهِمْ، لَمْ يُجْبِرْهُمْ عَلَى
شَيْءٍ مِنْهَا، بَلْ مُخْتَارِينَ لَهَا، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي
قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ بَعْدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

* ويعتقدون: أَنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا وَيَقِينًا، أَحْسَنُهُمْ أَعْمَالًا وَأَخْلَاقًا، وَأَصْدَقُهُمْ أَقْوَالًا، وَأَهْدَاهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ.

وَيَرْوَنَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاضِيًا مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ ذِرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ. جِهَادُ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ. وَجِهَادُ السَّلَاحِ، وَأَنَّهُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُدَافِعَ عَنِ الدِّينِ بِكُلِّ مُمَكِّنٍ وَمُسْتَطَاعٍ.

- 12 -

* وَمِنْ أَصُولِهِمْ: النَّهْيُ عَنْ أَدْيَةِ الْخَلْقِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَجَمِيعِ حُقُوقِهِمْ، وَالْأَمْرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ فِي جَمِيعِ الْمُعَامَلَاتِ. وَالنَّدْبُ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ فِيهَا.

* وَيُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَمِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَفْضَلَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
 خصوصاً الخلفاء الراشدون، والعشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة
 الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. فَيَحِبُّونَ الصَّحَابَةَ،
 وَيَكُونُونَ لِمَنْ يَكُونُونَ بِذَلِكَ.

* وَيَدِينُونَ لِلَّهِ: بِاحْتِرَامِ الْعُلَمَاءِ الْهَدَاةِ وَأَثَمَةِ الْعَدْلِ، وَمَنْ هُمْ الْمَقَامَاتُ الْعَالِيَةُ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ الْمُنْتَوِعِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالشَّرِّ، وَالشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى دِينِ نَبِيِّهِمْ إِلَى الْمَمَاتِ .

* وَيَنْشُرُونَ مَحَاسِنَهُمْ، وَيُسْكُتُونَ عَمَّا قِيلَ عَنْ مَسَاوِيهِهِمْ.

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون، ولها يعتقدون، وإليها يدعون.

مُقَلَّمَةٌ

الحمد لله الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَإِلَهِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَدَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد: - فهذه بُدْءُ سِيَرَةِ تَبْيِيْنٍ لِلْمُسْلِمِ الْعَقِيْدَةَ السَّلَفِيَّةَ النَّقِيَّةَ عَنْ كُلِّ مَا يَشُوْهُهَا مِنْ خُرَافَةٍ وَبِدْعَةٍ، عَقِيْدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَدَرَّائِهِمْ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ.

◆ اعلم أن التَّوْحِيدَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَ السُّنَّةُ ، وأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ ،
ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

1 - تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ .

2 - تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ .

3 - تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

فصل

في بيان توحيد الربوبية

● أمّا توحيد الربوبية، فقد اعترف به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، فهم مقرّون بأنّ الله هو الخالق الرّازق، المحيي المميت، المتصرّف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومجرد الاعتراف بهذا لا يكون به الإنسان مسلماً، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31].

أي: أفلا تُفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ما سواه.

فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 31]، أي: مَنْ ذَا الَّذِي يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ الْمَطَرِ، فَيَسْقِي الْأَرْضَ شَقًّا بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدائقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ؟ فسيقولون الله.

وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: 31]، أي: الذي وهبكم هذه القوَّة السَّامِعة، والقوَّة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلَبكم إياها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23].

وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ [الأنعام: 46].

وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: 31] بقدرته العظيمة، ومِنَّتِهِ العَمِيمَةِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: 31]، أي: مَنْ بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وهو يُجِيرُ ولا يُجَارُ عليه، وهو الْمُتَصَرِّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] فالملكُ كُلُّه العلويُّ والسُّفليُّ، وما فيهما من ملائكة وإنسٍ وجانٍّ، فَيَقِيرُونَ إِلَيْهِ عبيدٌ له، خاضعونَ لَدَيْهِ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: 31] أي: وهم يعلمونَ ذلك، وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ، ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ﴾ [يونس: 31] أي: أفلا تخافونَ مِنْهُ أَنْ تعبدوا مَعَهُ غَيْرَهُ بآرائكم وجَهْلِكُم، فكثيرًا مما يَحْتَجُّ سُبْحَانَهُ وتعالى على المشركين، بما اعترفوا بِهِ مِنْ توحيدِ الرُّبُوبِيَّةِ على ما أنكروهُ مِنْ توحيدِ الألوهيَّةِ، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جدًا:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ

عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: 84 -

. [89]

○ وتوحيد الربوبية، قد فُطِرَتْ عَلَى قَبُولِهِ، والاعتراف به قُلُوبُ بني آدم، فلم يُنْكِرْهُ إِلَّا شُذَّاذٌ قَلِيلُونَ، مِنْ بَنِي آدَمَ، فَفَرَّعُونَ الْقَائِلُ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] مُعْتَرِفٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بِوُجُودِ الْخَالِقِ الْمَوْجِدِ لِهَذَا الْعَالَمِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَحَمِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وظُلُومًا﴾ [النمل: 14] وفيها حَكَى اللَّهُ عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ لِفِرْعَوْنَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَايِرَ﴾ [الإسراء: 102].

فَصْلٌ

فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ

● وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلَا يُدْعَى إِلَّا هُوَ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَلَا يُلْتَجَأُ لِكَشْفِ الضَّرِّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا لِحُلِّبِ الْخَيْرِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُنْذَرُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُذْبَحُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُخَافُ إِلَّا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَلَا يُسْتَعَانُ وَلَا يُسْتَعَاثُ إِلَّا بِهِ وَحْدَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، كَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ،

والإناية إلى الله، والخشوع له، فصرف شيء منها إلى غير الله شركٌ مُنافٍ للتوحيد الذي أُرسل لأجله الرُّسل، فجميع الرُّسل أُرسلوا لتحقيق هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59] فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك إلى عبادة الله وحده سبحانه .

وقال هودٌ عليه السلام لقومه: ﴿اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 65].

وقال صالحٌ عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61].

وقال شعيبٌ عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85].

وقال إبراهيمُ عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقِصُوا ذُلَّكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 16].

وقال تعالى مخاطباً لنبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

① وأول ما أمر به نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ سيد المرسلين، وخاتم النبيين توحيد الله بعبادته وحده، لا شريك له، وإخلاص الدين له وحده، كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾ [المدثر: 1-3]، ومعنى قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي: عَظِّمْ

وَالسَّمَاوَاتِ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتْ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنَشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتِ السُّيُوفُ لِلْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: "فَلَا تَزُولُ قَدَمُ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَجَوَابُ الْأُولَى: بِتَحْقِيقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا. وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ: بِتَحْقِيقِ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً"(1).

❦ ومعنى الإله: هو المألوه المعبود الذي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وليس هو الإله بمعنى الْقَادِرِ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ، فَإِذَا فَسَّرَ الْمُفَسِّرُ الْإِلَهَ بِمَعْنَى الْقَادِرِ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ أَخْصُّ وَصْفِ الْإِلَهِ، وَجَعَلَ إِثْبَاتَ هَذَا هُوَ الْغَايَةَ فِي التَّوْحِيدِ كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ

(1) نقلاً عن زاد المعاد لابن القيم (1/ 84) وهو موجود أيضاً في إغاثة اللهفان (1/ 84) ومدارج السالكين

(1/ 34) والرسالة التبوكية ص(55) وكلها من مؤلفات ابن القيم أيضاً.

الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، فَإِنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا مُشْرِكِينَ (1)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﷻ﴾ [العنكبوت: 61] وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ، وَيَطْلُبُونَ الْمَدَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: لِمَ تَعْبُدُونَ وَتَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ؟ يُجِيبُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] وَقَدْ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الَّذِي حَذَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ لَمْحُوهَا.

⑤ "ومن أنواع الشُّرك الَّذِي وقع فيه الكثير طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتَّوجه إليهم، وهذا أَصْلُ شِرْكِ العالم، فَإِنَّ المِيتَ قد انقطع عَمَلُهُ، وهو لا يملك لنفسه نَفْعًا ولا ضَرًّا، فضلًا عَمَّنِ اسْتَغَاثَ به، أو سألَه أن يَشْفِعَ له عند الله، وهذا من جهله بالشافِع والمَشْفُوع" (2).

ولكن يا حَسْرَةَ على العباد يعملون على قبور المشايخ وَمَشَاهِدِهِمْ ما كان يعملهُ الْمُشْرِكُونَ على مَشَاهِدِ أَوْثَانِهِمْ.

(1) راجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (3/ 105:97) واقتضاء الصراط المستقيم (2/ 855) وفتح المجيد ص (27).

(2) نقلاً عن مدارج السالكين (1/ 346) وراجع فتح المجيد ص (282).

① قال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله: "هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعياداً للصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الحدود على ترايبها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللّهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، ومن لم يصدق ذلك، فليحضر مشهداً من مشاهدهم المعروفة، حتى يرى الغلاة، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب -إذا رأوها من مكان بعيد- فوضعوا لها الجباه، وقبّلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالصّجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم الشّيح، ورأوا أنهم قد أربوا في الرّيح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبيد ولا يُعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلّوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر كأجر من صلّى إلى القبليتين، فتراهم حول القبر رُكعاً سُجّداً، يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملئوا أكفّهم خيبةً وخسراً، فلغير الله - بل للشّيطان- ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومُعافاة أولي العاهات والبليّات، ثم انشوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التّقبيل والاستلام، أَرَأَيْتَ الحجر الأسود وما يفعله به وفد البيت الحرام!! ثم عَفّروا لديه تلك الجباه والحدود، التي يعلم الله أنها لم تُعَفّر كذلك بين يديه في

عن الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ، وَهَؤُلَاءِ يُصَلُّونَ عِنْدَهَا وَإِلَيْهَا، وَنَهَى عَنْ اتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ وَهَؤُلَاءِ يَبْنُونَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ، وَيُسَمُّونَهَا مَشَاهِدَ؛ مُضَاهَاةً لِبُيُوتِ اللَّهِ، وَنَهَى عَنْ إِيْقَادِ الشُّرُجِ عَلَيْهَا، وَهَؤُلَاءِ يَوْقِفُونَ الْوُقُوفَ عَلَى إِيْقَادِ الْقَنَادِيلِ، وَنَهَى عَنْ أَنْ تُتَّخَذَ عِيدًا، وَهَؤُلَاءِ يَتَّخِذُونَهَا أَعْيَادًا وَمَنَاسِكَ، وَيَجْتَمِعُونَ لَهَا كاجتماعهم للعِيدِ، أَوْ أَكْثَرَ، وَأَمَرَ بِتَسْوِيتِهَا لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: "أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ" (1)، وَحَدِيثُ ثُمَامَةَ بْنِ شَفِيٍّ، وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا قَالَ: "كُنَّا مَعَ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودَسَ، فَتَوَفَّى صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فُضَالَةَ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيتِهَا" (2)، وَهَؤُلَاءِ يُبَالِغُونَ فِي مَخَالَفَةِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، وَيَرْفَعُونَهَا عَنِ الْأَرْضِ كَالْبَيْتِ، وَيَعْقِدُونَ عَلَيْهَا الْقُبَابَ، وَنَهَى عَنْ تَجْصِيفِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَجْصِيفِ الْقَبْرِ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ

(1) صحيح مسلم الجنائز (969)، سنن الترمذي الجنائز (1049)، سنن النسائي الجنائز (2031)، سنن أبي داود الجنائز (3218).

(2) صحيح مسلم الجنائز (969).

ولأنَّ تخصيصَ القبورِ بالصَّلَاةِ عندها يُشَبِّهُ تعظيمَ الأصنامِ بالسُّجودِ لها، والتَّقَرُّبِ إليها، وقد رويْنَا أنَّ ابتداءَ عبادةِ الأصنامِ تعظيمُ الأمواتِ باتِّخَاذِ صُورِهِمْ، والتَّمَسُّحِ بها، والصَّلَاةِ عندها". اهـ (١).

① قال العلامة المباركفوري الهندي في كتابه: [تُحفة الأحوزي بِشَرَحِ جامع الترمذي]: على قول علي لأبي الهياج الأسدي: أبعثك على ما بعثني النبي ﷺ: "أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته" ما نصه: "ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً، القبر والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسدٍ يبكي لها الإسلام، منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، بل ظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربه، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً ما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع لا نجد مَنْ يَغْضِبُ اللهَ، ويغارُ حميةً للدين الحنيف، لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارَد إلينا من

(1) إغاثة اللفهان (1/ 306:308) وراجع فتح المجيد ص (701:703).

الأخبار ما لا يُشَكُّ مَعَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ إِذَا تَوَجَّهَتْ عَلَيْهِ يَمِينٌ مِنْ خَصْمِهِ حَلَفَ بِاللَّهِ فَاجْرَأْ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: احْلِفْ بِشَيْخِكَ وَمَعْتَقِدِكَ الْوَلِيِّ الْفُلَانِي، تَلْعَثُمْ، وَتَلْكَأْ، وَأَبْيْ، وَاعْتَرَفَ بِالْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ أَبْيِنِ الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ شُرَكَهَمْ قَدْ بَلَغَ فَوْقَ شُرْكَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى ثَانِي اثْنَيْنِ، أَوْ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ.

فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضّر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك اليّن واجباً؟! لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا *** وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي وَلَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَصْأَت *** وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ " (١).

① قال العلامة ابن القيم رحمه الله - في قصة هدم الآلات لما أسلمت ثقيف -: "فيه أنه لا يجوز إبقاء مَوَاضِعِ الشُّرْكِ والطَّوَاعِيتِ بعد القُدرةِ على هَدْمِهَا، وإبطالها يَوْمًا واحدًا، وكذا حكم المَشَاهِدِ التي بُنِيَتْ على القبور، والتي اتَّخَذَتْ أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تُقَصَّدُ للتَّبَرُّكِ والنَّذْرِ، لا يجوزُ إبقاء شيءٍ منها على وجه الأرضِ مَعَ القُدرةِ على إزالتها، وكثيرٌ منها بمنزلةِ اللَّاتِ والعُزَّى، ومناة، أو أعظمُ شرًّا عندها وبها... فاتبع هؤلاء سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وسلكوا سَبِيلَهُمْ

(1) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى (4/ 150:151).

حَذَوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، وَغَلَبَ الشِّرْكَ عَلَى أَكْثَرِ النَّفُوسِ لظُهُورِ الْجَهْلِ، وَخَفَاءِ الْعِلْمِ،
وَصَارَ الْمَعْرُوفُ مَنكَرًا وَالْمَنكَرُ مَعْرُوفًا، وَالسُّنَّةُ بَدْعَةً، وَالْبَدْعَةُ سُنَّةً، وَطَمَسَتْ
الْأَعْلَامُ، وَاشْتَدَّتْ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَقَلَّ الْعُلَمَاءُ، وَغَلَبَ السُّفَهَاءُ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ،
وَاشْتَدَّ الْبَأْسُ، وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ، وَلَكِنْ لَا
تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَصَابَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ بِالْحَقِّ قَائِمِينَ، وَلَأَهْلِ الشِّرْكِ وَالْبَدْعِ مُجَاهِدِينَ،
إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ" ١. هـ ملخصاً (١).

⊙ وماذا يُفِيدُ الْمُلتَجِئُونَ إِلَى أَصْحَابِ الْقُبُورِ، وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا
ضَرًّا، بَلْ هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ بِالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفِرَةِ لَهُمْ.

فهذا سيدُ الخلقِ، وأشرفُ المرسلين، وأكرمُ البرية يقول لأعزَّ النَّاسِ عنده بنته
فاطمة، والتي هي بِضْعَةٌ مِنْهُ، وعمه عباس بن عبد المطلب، وعمته صفية بنت
عبد المطلب، ولعشيرته الأقربين: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أو كلمة نحوها- اشْتَرُوا
أَنْفُسَكُمْ؛ (أي بالإيمان بالله، والعمل الصَّالح)، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا
عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣ / ٥٠٦ : ٥٠٧).

أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" (1).

فإذا كان سيد المرسلين صرّح بأنه لا يغني شيئاً عن سيّدة نساء العالمين، ثمّ نظر فيما وقع في قلوب خواصّ النّاس اليوم، فتبين له التوحيد وغربة الدين.

وفي الحديث: ردّ على من تعلّق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم؛ ليشفعوا له، وينفعوه، أو يدفعوا عنه .

كما أنّ فيه: دلالة صريحة على أنه لا يجوز أن يُسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدّنيا، وأمّا الرحمة والمغفرة والجنة، والنجاة من النار، ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته، إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى، وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من النّاس من الالتجاء إلى الأموات، والتوجه إليهم بالرغبات والرّغبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرّاً، ولا نفعاً، فضلاً عن غيرهم، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ

(1) البخاري (2753)، ومسلم (204) (248) من حديث أبي هريرة ؓ .

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْتَهَدُونَ ﴿٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠] أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الشَّرْكَ فِي قَالِبِ حُبِّهِ الصَّالِحِينَ، وَكُلُّ صَالِحٍ يَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الشَّرْكِ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

○ ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحُبِّ الله؛ إشراكاً بالله، وعبادةً لغير الله، وعداوةً لله ولرسوله، والصالحين من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ لِلنَّاسِ أُخَذُوفِي وَأُنْحِي إِلَهُتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَابِدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ونحنُ معَ هذا لا نُنكِرُ شفاعَةَ رسولِ الله ﷺ والأنبياءِ والصالحينَ، فقد صَحَّ أَنَّ الأنبياءَ يشفعونَ، والأولياءَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعونَ، لكنَّ لا نطلبُ الشَّفاعَةَ منهم، ولكنَّ نطلبُها مِنَ الله، فلا يشفعُ أحدٌ إلا بإذنِ الله له، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ؟﴾ [البقرة: 255]، وهو سبحانه وتعالى لا يأذنُ إلا لِمَنْ رَضِيَ اللهُ قولَه وعملَه، كما في قولَه تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَكَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: 28]، فنقول: اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا شفاعَةَ نبيِّكَ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِينَا، وأمثالُ هذا.

تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: 44].

فصل

في تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

● هو: اعتقادُ أفرادِ اللهَ بالكمالِ المطلقِ مِنْ جميعِ الوجوهِ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ، وذلك بإثباتِ ما أثبتَهُ لنفسِهِ، أو أثبتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِغَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، بل نعتقدُ أَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فلا ننفي عنه بما وصفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا نُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا نُلْحَدُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ.

(1) مسلم (948) (59).

□ فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ:

الاستواء :

1 - فقال عزَّ مِنْ قائلٍ في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثِ﴾ [الأعراف: 54].

2 - وقال في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ﴾ [يونس: 3].

3 - وقال في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ﴾ [الرعد: 2].

4 - وقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5].

5 - وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: 59].

6 - وقال في سورة السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: 4].

7 - وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: 4].

وهذا الجوابُ من مالِكٍ رحمه اللهُ في الاستواءِ كافٍ وشافٍ في جميعِ الصفاتِ؛ مثل
النُّزولِ، والمَجِيءِ، واليدِ، والوجهِ، وغيرِها، فيُقَالُ في النُّزولِ: النُّزولُ معلومٌ،
والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ.

وهكذا يُقالُ في سائر الصِّفاتِ الواردةِ في الكتابِ والسُّنةِ، ولا يجوزُ تأويلُ الاستواءِ على العرشِ بالاستيلاء؛ لأنَّه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أنْ يَخْصَّ العرشُ بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه؛ إذ هو مستولٍ على العرشِ، وعلى الخلق، ليس للعرشِ مَرِيَّةٌ.

(2) **أثر صحيح:** أخرجه ابن قدامة في العلو (104)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (664) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (24-26) من طرق يقوى بعضها بعضاً.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله: "مَنْ لَمْ يَقْرَأْ بَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَىٰ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، بَائِنٌ مِّنْ خَلْقِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُلْقِيَ عَلَىٰ مَزْبَلَةٍ؛ لِئَلَّا يَتَذَذَىٰ بِرِيحِ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ، وَأَهْلِ الدِّمَةِ" (١).

□ كما أَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى﴾ [آل عمران آية: 55] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158] ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملوك: 16]، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَلَا تَأْمِنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ" (2)، وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْجَارِيَةِ: أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتَقُهَا؛ فَإِنَّا مَوْمَنَةٌ" (3) .

وَمُنْكَرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي جَهَةِ الْعُلُوِّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مُخَالَفٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَمُنْكَرٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الحموية ص (91) بعد أن ساقه "ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح"،

وعزاه ابن القيم في اجتماع الجيوش (194) للحاكم في علوم الحديث وفي كتاب تاريخ نيسابور .

(2) البخاري (4351)، ومسلم (1064) (144) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(3) مسلم (537) (33)، وأبو داود، والنسائي.

قال مالك بن أنس: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان"، وقال عبد الله بن المبارك: "نعرف ربنا فوق سبع سماوات بائنًا من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا، وأشار إلى الأرض" (1)، بل نعتقد أن الله سبحانه وتعالى فوق سمواته مستور على عرشه، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان والتسليم لذلك، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، ولا نفي لحقيقة النزول، فروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يُنْزَلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فيقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ" (2).

وفي لفظ: "يُنْزَلُ اللهُ ﷻ" ولا يصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة، ولا نزول ملك، لما روى مسلم - بإسناده - عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث

(1) عزاه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص (134) وعثمان الدارمي، والحاكم والبيهقي وغيرهم ثم قال "بأصح إسناد" وفي موضع آخر ص (213، 214) قال: "وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه".
(2) البخاري (1145)، ومسلم (758) (168).

الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك من ذا الَّذِي يدعوني فأستجيب له، من ذا الَّذِي يستغفرنى فأغفرَ له، حتى يضيء الفجر" (١).

وروى رفاعَةُ بْنُ عروبةَ الجُهنيُّ أن رسولَ الله ﷺ قال: "إذا مضى نصف الليل، أو ثلث الليل ينزل الله ﷻ إلى سماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يدعوني أستجب له، من ذا الذي يسألني أعطيه، حتى ينفجر الصُّبحُ" (2)، وهذان الحديثان يقطعان تأويلَ كُلِّ متأولٍ، ويدحضان حُجَّةَ كُلِّ مبطلٍ.

وروى حديث النزول عليُّ بنُ أبي طالب ، وعبدُ الله بن مسعود ، وجبيرُ بنُ مطعم ، وجابرُ بنُ عبدِ الله، وأبو سعيدٍ الخُدْري، وعمرُو بنُ عبسة، وأبو الدَّرْداء، وعثمانُ بنُ أبي العاص، ومعاذُ بنُ جبلٍ، وأمُّ سلمةُ زوجُ النَّبِيِّ ﷺ، وخَلْقٌ سِوَاهُمْ ﷺ، ونحنُ مؤمنونَ بذلك، مُصدِّقونَ مِن غيرِ أنْ نصفَ له كَيفِيَةً، أو نَشِئَهُ بنزولِ المخلوقينَ.

(1) مسلم (758) (169).

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده (4 / 16)، وراجع لشرحها الحديث والكلام باستفاضة "شرح حديث النزول" للشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

□ **اليَدَانِ:** ومن صفاته سُبْحَانَهُ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَالثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَدَانِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وَقَالَ ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ﴾ [ص: 75].

فلا نقول: يد كيد، ولا نُكَيِّفُ ولا نُشَبِّهُ، ولا نَتَأَوَّلُ اليدينِ على القدرتين، كما يقول أهل التأويل، بل نؤمنُ بذلك، ونُثَبِّتُ الصِّفَةَ من غيرِ تكييفٍ، ولا تشبيهٍ، ولا يَصِحُّ حملُ اليدينِ على القدرتين؛ فإنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ ﷻ واحدة، ولا على النعمتين؛ فإنَّ نِعَمَ اللَّهِ ﷻ لا تُحصى كما قال ﷻ: ﴿وَأَن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: 18].

□ وثبتَ اللهُ ﷻ صفهُ النَّفسِ التي وردت في كتابِ اللهِ تعالى، وثبتت في سُنَّةِ رسوله ﷺ.

قال الله ﷻ - إخبارًا عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: 116]، وقال ﷻ: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: 54]، وقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: 41]، وقال: ﴿ وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: 28] وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْهُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي

شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً" (1) .

□ **الوجه:** ومن الصفات التي نطق بها القرآن، وصحّت بها الأخبار: الوجه . قال الله ﷻ: ﴿ وَيَبْعَثُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 27] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: 88] وفي حديث أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع، فقال: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ يَرْفَعُهُ وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلُّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصْرُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ " [النمل: 8] (2) .

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب، وخير الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها، والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات.

□ ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى يرى في الآخرة - كما جاء في كتابه -، وصحّ به النقل عن رسوله ﷺ قال الله ﷻ: ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22] - [23] وروى جريز بن عبد الله البجلي ﷺ قال: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

(1) مسلم (2675) (293) ، وهو عند البخاري أيضًا (7405) .

(2) مسلم (179) (2) وليس عنده جملة: "ثم قرأ: ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وهي عند أبي يعلى في المسند.

الْقُرْآنِ مِنْهُ، وَنَدَائِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَقَوْلِهِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَقَبْضِهِ وَبَسْطِهِ، وَعِلْمِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَصَمَدَانِيَّتِهِ، وَفِرْدَانِيَّتِهِ، وَأَوَّلِيَّتِهِ، وَآخِرِيَّتِهِ، وَظَاهَرِيَّتِهِ، وَبَاطِنِيَّتِهِ، وَحَيَاتِهِ، وَبَقَائِهِ، وَأَزَلِيَّتِهِ، وَنُورِهِ، وَتَجَلِّيِهِ، وَالْوَجْهِ، وَخَلْقِ آدَمَ بِيَدِهِ، وَنَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16]. وَسَمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَسَمَاعِ غَيْرِهِ مِنْهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِهِ الْمُتَزَّلِ، وَجَمِيعِ مَا لَفِظَ بِهِ الْمُصْطَفَى مِنْ صِفَاتِهِ، كَخَرَسِ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِيَدِهِ، وَشَجَرَةِ طُوبَى بِيَدِهِ، وَخَطِّ التَّوْرَةِ بِيَدِهِ، وَالضَّحْكِ وَالتَّعَجُّبِ، وَوَضْعِهِ الْقَدَمِ، وَذِكْرِ الْأَصَابِعِ، وَالتَّزْوِلِ كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَغَيْرَتِهِ، وَفَرْحِهِ بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَإِنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، "وَحَدِيثِ الْقَبْضَتَيْنِ" وَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا نَظَرُهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، "وَأَنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْثُو ثَلَاثَ حِثَايَاتٍ مِنْ حِثْيَاتِهِ، فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ"، وَحَدِيثِ "الْقَبْضَةِ الَّتِي يُخْرِجُ بِهَا مِنَ النَّارِ قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ"، وَإِثْبَاتِ الْكَلَامِ بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، وَكَلَامِهِ لِلْمَلَائِكَةِ، وَلَآدَمَ، وَلِمُوسَى، وَمُحَمَّدٍ، وَالشَّهَدَاءِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْحِسَابِ، وَفِي الْجَنَّةِ، وَتُزْوِلُ الْقُرْآنَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكُونِ الْقُرْآنِ فِي الْمَصَاحِفِ، "مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ"، وَصُعُودِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ إِلَيْهِ. وَغَيْرَ هَذَا بِمَا صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا بَلَغْنَا، وَمَا لَمْ يَبْلُغْنَا بِمَا صَحَّ عَنْهُ، اعْتِقَادُنَا فِيهِ أَنَّ نَقَبَهَا وَلَا نَرُدُّهَا، وَلَا نَتَأَوَّلُهَا بِتَأْوِيلِ الْمُخَالَفِينَ، وَلَا نَحْمِلُهَا عَلَى تَشْبِيهِ الْمَشْبَهِينَ، وَلَا نَزِيدُ عَلَيْهَا، وَلَا نُنْقِصُ مِنْهَا، وَلَا نُكَيِّفُهَا، وَلَا نَشِيرُ إِلَيْهَا بِخَوَاطِرِ الْقُلُوبِ، بَلْ نُطَلِّقُ مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ، وَنُفَسِّرُ مَا فَسَّرَهُ

وتلائم حقيقته، فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ الَّذِي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] إلا ما يناسب المخلوقين فَقَدْ ضَلَّ في عقله ودينه. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ: "إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ أَوْ كَيْفَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا؟ أَوْ كَيْفَ يَدَاهُ؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ هُوَ فِي ذَاتِهِ؟ فَإِذَا قَالَ لَكَ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ وَكَنْهُ الْبَارِي تَعَالَى غَيْرَ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ. فَقُلْ لَهُ: فَالْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُسْتَلَزِمٌ لِلْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ؛ فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّتَهُ وَإِنَّمَا تَعْلَمُ الذَّاتَ وَالصِّفَاتِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ

(١).

❏ وَمَنْ أَوَّلَ نصوصِ الصِّفَاتِ، أَوْ قَالَ: إِنَّهَا أَلْفَاظٌ لَا يَعْقُلُ مَعْنَاهَا، وَلَا يُدْرِي مَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ نَقَرُهَا أَلْفَاظًا لَا مَعْنَى لَهَا، فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً بَيْنًا، بَلْ هِيَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى أَشْرَفِ الْمَعَانِي وَأَجَلِّهَا.

❑ وبالجملة: إِنَّ مذهبَ أهلِ الشُّنَّةِ والجماعةِ: إثباتُ ما أَثَبَّهُ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ، وما أَثَبَّهُ لَهُ أَعْلَمُ الخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ، كالاستواءِ، والمحبةِ، والغضبِ، والرِّضا، والسَّمْعِ والبصرِ، والرَّحْمَةِ، والعِلْمِ، والكلامِ، واليَدَيْنِ، والوَجْهِ، والنِّدَاءِ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

(1) نقلاً من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (5/ 115).

المحفوظ في صُدُورنا المتلَوِّ بالستِّين المسموعَ بأذاننا هو كلامه حقيقةً، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر: 29]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]، إلى غير ذلك مما وردَ في الكتاب، وصَحَّ عن رسول الله ﷺ مِنْ إثباتِ الصِّفَاتِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، مَعَ اعتقاد معناها وما دلت عليه، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1-4].

وهذا هو حقيقة مذهبِ سلفِ هذه الأمة مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، وأئمة العلماء المُحَقِّقِينَ، واللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى أعلمُ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

عبد الله بن محمد بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

و

الرئيس العام للمجمع الفقهي

15 \ 11 \ 1409 هـ

فهرس

5	 مقدمة مركز شعاع الخير
	توطئة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب
6	 والسنة
13	 مقدمة المؤلف
15	 فصل في بيان توحيد الربوبية
17	 فصل في بيان توحيد الألوهية
31	 فصل في بيان توحيد الأسماء والصفات
44	 الفهرس



هذه السلسلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾
 ((وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))

إن من أعظم الفقه في دين الله تعالى معرفة العقيدة الصحيحة السلفية التي كان عليها النبي ﷺ والأصحاب، وأصحاب القرون المفضلة. ومن هذا المنطلق تصدر هذه السلسلة الطيبة المباركة بإذن الله وعونه نشرًا للعلم النافع وعملاً بقوله ﷺ ((بلغوا عني ولو آية)) وقد شُرف هذا الإصدار منزلة مرموقة حيث يُعدُّ الباكورة الأولى من إصداراتنا الدعوية، والسري في اختيار كتيب كالتوحيد أن شرف العلم من شرف المعلوم، حيث إنه حق الله على العباد وأصل دعوة الرسل ومن أجله جردت السيوف للجهاد وقام سوق الجنة والنار وبه انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار وعليه تقوم رابطة الولاء والبراء، وبه نقرب ونبعد، ونحب ونبغض. والله تبارك وتعالى نسأل أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

